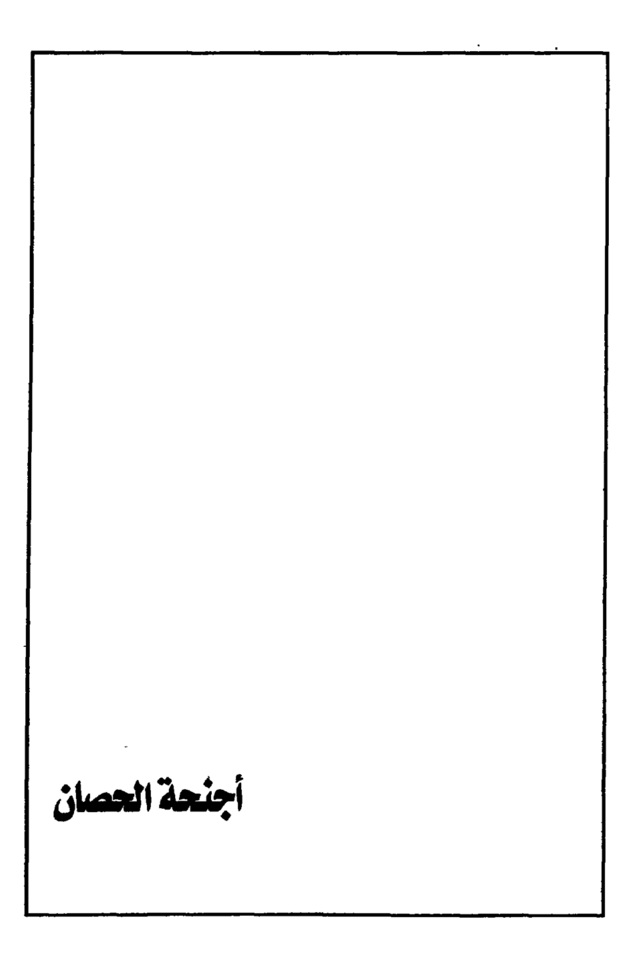
2002 مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع.. مكتبة الأسرة

الأعمال الإبداعية

هالة البدرى

أجنحة الحصان



أجنحة الحصان

لوحة الغلاف للفنان: فيلسى ليودفسى

إذا نظرنا إلى لوحة الغلاف المنشورة نجد أن الفنان فيلسى يقدم سيمفونية رائعة من لوحاته العالمية والتى أردت فى بداية عرض اللوحة أن أقدم بانوراما متنوعة للمدارس الفنية المختلفة التى ازدهرت فى المنطقة الأوربية عبر العصور ولكن نتيجة لكثرة تلك المدارس حاولت اختيار أعمال معاصرة فقط وهى بلا شك الأعمال الأكثر أصالة وتمثيلا للمنطقة الأوربية.

صبرى عبدالواحد

أجنحة الحصان

هالة البدرى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢

مـكتبة الأســـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الإبداعية)

أجنحة الحصان

هالة البدرى

الغلاف
والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

الفنان : صبرى عبدالواحد

المشرف العام :

د. سـمير سرحـــان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزارة الشـــباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

علي سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة باصدراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيبًا فى المكتبة العربية وأن تزيد رقعة القراءة والقراء بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيرى على إصدارتها غير مسبوق على مستوى النشر فى العالم العربى أجمع بل أعادت إلى الشارع الثقافى أسماء رواد فى مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص ها هى تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالى فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعى بعد أن حققت فى العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعًا على الموسوعات التى أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام فى «مكتبة الأسرة» .. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ سوزان مبارك..

د. سمير سرحان

في ليلة مطر

كنت أسمع تنهداتها في ركن البدروم تأتي واضحة حينا ، فأعرف أنها تقلبت على ظهرها ، او مكتومة . فأعرف أنها دفنت وجهها في القماش المكوم تحت رأسها .

المطر يضرب ألواح الصفيح الملقاة أمام بوابة العمارة . قمت لأحكم الغطاء الجلدي حول الأسمنت حتى لا يرطبه ، لا أحس البرد رغم أني لا أحب هذا الجو ، أشعر أنني خفيف ، هرب النعاس ، وراكية النار تنفث في اعياء زفراتها الأخيرة قبل أن تموت . سأطعمها قطع الخشب الجاف ، وأضع فوقها البراد . قوالح الذرة في الموقد النحاسي حلم ، لا أعرف متى يتحقق بالعودة . كثيرا ما أفكر في احضار أمي هنا وجمع الشمل ، لرائحة فرنها وحشة ، مازالت ترسل لي العيش الشمسي ولكن مذاقه هنا مختلف ، فلو ضمنت بقائي خفيرا بعد انتهاء البناء لأرغمتها على الحضور ..

الأكواب متسخة ، لن أوقظ زوجتي . بعد قليل سيبكي المولود ، وستقعد لترضعه . هاهو خرطوم الماء ، الغريب أنه ليس باردا جدا ..

عوى كلب ، اشتدت الريح وأخذت معها الأوراق ، زمجرت الرمال وهي تنتقل من مرقدها مرغمة ، لتضرب أكوام الزلط وقوالب الطوب . راح يلف الكوفية الصوف حول رقبته وامتدت يده تحكمها حول نصف وجهه .

مازال الأنين يأتي من بعيد ، ارتعشت أوصاله ، تمطى الكلب وهز رأسه ، قام نحو النار ليحتمي بأجولة الأسمنت . نامت الجريدة التي تحمل بقايا طعام العشاء وكفت عن الخشخشة ، سكن كل شيء وهدأ فجأة ، فسمع سعالها .

– كفى بكاء ياولية ، في الصباح رباح .

اشتد عزف آلامها ، وكأن صوته اشارة ليعلو . لم تكن المرة الأولى التي يتدخل فيها ليفض نزاعها مع زوجها ، لكنه والجميع لم يتمكنوا هذه المرة من اقناعه بعدم طردها ، في الغد يبحث لها عن خفارة عمارة جديدة تعيش فيها حتى يهدأ أبو ربيع .

انطفأ موقد الكيروسين ، قام يبحث عن صفيحة الجاز ، وجدها وراء أسياخ الحديد ، عمر المصباح وأعاد اليه النار . رفعه فوق البرميل لينير أكبر منطقة ،

فرأى ألواح الكارتون فوق العشة فى الأرض المقابلة ت
تغالب رفسات الريح • التفت ناحية الصـوت ، رآها
تشد الغطاء عـلى صدرها فتتعرى قدماها • تكومت
ألصقت ركبتها! عند بطنها دون أن يتـوقف بكاؤها
ارتاح لسماع الصوت ، كان يشق السـكون على مهل ،
تمنى ألا يتوقف • رغم إعتياده على السهر لحراسة مواد
البناء طوال الليل ، لـكن لنـوم الفجـر لذته ودفؤه
الذى يشـتاق اليـه دائمـا ، ففى الصباح بعـد أن
يصحو الجميع ، يدخل الى فراشه ، فلا يكون للنعـاس
معنى بعد أن تضرب الشمس كل مكان ، ويدخل النور
عينيه • كثيرا ما يحـاول أن يغفو فى بداية الليـل ،
ولكنه أبدا لا يستطيع •

ارتفع الصوت ، لابد أنها راقدة الآن ووجهها نحو
السماء • حمل كوب الشـاى ووقف بجـوارها ، تكلم
بصـوت هامس ، فتحت عينيها ومسـحت أنفها بظهر
يدها • التهبت شفتاها وانتفختا ، مازالت آثارها كومة
الملابس تحت رأسها تحفر علامات على خدها • نظـرت
اليه من خلف غلالة شفافة ، ارتفع صدرها يبتلع الهواء
فى شهقات سريعة ، وهى تمد يدها تستلم كوب الشاى•
فتش فى الناحيـة الأخـرى من البدروم عن كيس فى
الصندوق الكبير •

شربت الشاى ببطء ، وهى تمسك الكوب الساخن
بكلتا يديها • رأته يتعثر فى كومة حجـارة وهو قادم

نحوها يحمل بطانية جديدة · انتهت من الكوب ، وضعته بجوارها وهي تأخذ منه الغطاء ، شكرته ·· ثوبها المزركش يغطي نصف ساقيها · لمحت النعل الأسود راقدا بجوار رأسها ، استدارت تلفه بالقماش وبقايا ملابسها · أراحت رأسها فوقه ، فرد البساط على جسدها الممدود أمامه ، خفت صوتها ، وراحت بسمة ترتعش على الوجه الملتاع ·

مازالت الراكية ترسل بطقطقات خفيفة ، تسلل بجوارها تحت الغطاء فتبينت لونه لأول مرة ، عندما توهجت النار ، تحسست نعومة ملمسه ، رأت · الورود الكبيرة المتشابكة على سطحه · على وجهه وداعة وود ، اهتز الغطاء ، عوى الكلب ، راح البلل من رموشها ، تقلبا ببطء ، أراد أن يسمع صوتها تبكي أو تغني ، سمع بكاء طفله ، فنظر ناحية زوجته في الظلام · رأى عيونا ترمقه صامتة من خلف أعواد الحديد والخشب ، لم يكن في العينين أي ود !!

يوليو ١٩٨٩

جراح النهر

ليس غريبا ما أشعر به وأنا أراه يقلب السم فى الفنجان أمامى ، أعرف نفسى قادرة على مواجهـة أى موقف • متى اكتسبت ذلك ؟ لا يهم !!

« تسمرت حدقتاها على يده وهى تحرك المزيج ، هربت آهة مكتومة من بين ضلوعها ، عادت تغـرق فى ذاتها •

المهم الآن النتيجة التى وصلت اليها •• ما هـو نوع السم المستخدم ؟ ألوان العبوة زاهية مثل دهانات الشمس، رغم أن علامة الجمجمة والعظمتين تجثم عليها، أشعر أن الفك الخالى من الحياة يرتعش ، يستهزىء بى •• والطبيب • انه لا يشبه العسكر فى شىء ، مطمئن، وكأنه يجهز دواء لشفاء مريض ، وليس لقتله •• لقد أدانونى وهاأنذا أنفـذ رغبتهم فى موتى •• يعجبنى الهدوء الذى تسير عليه الاجراءات • ترى عندما يقترب منى هل تنتابنى أحاسيس أخرى ؟ اننى لا أمتلك غير

القوة التى أواجههم بها الآن . لقد صدر الحكم، ووافق عليه الجميع ، بل انهم ارتاحوا للتخلص منى .. اعرف أن الألم يحفر أنفاقا فى صدور أهلى ، ولكنهم استسلموا للأمر الواقع . وهذه الممرضة انها تشبه كل السيدات اللاتى أقابلهن فىالسوق ، او على افريز محطة المترو ، بل هى أشبه بعاملات المدارس : بدينة ، تتحرك على مهل ، لوجهها ملامح محددةأشك فى معرفتىلمناها . هل هى باسمة أم لا مبالية ؟ أم هى خليط من الرضا واليأس وقبول الأمر الواقع :

« وتابعت نظراتها الممرضة وهى تقترب من الرجل الراقد بجوارها » .

وجهه يبدو مالوفا ، ينام فى وداعة وسكون طفل ، ألم أره من قبل ؟ ولماذا تجمعنى معه ساعة الرحيل لا هل مات ؟ لماذا تضع يدها تحت أذنه وتقلبه هكذا ؟ انتهى كل شىء اذن .. لكننى لم أشاهدهم يعطونه السم . لماذا أبقوه فى الحجرة معى ؟ ألم يكن من الواجب أن يضعونى فى مكان منفرد ؟ أم أنه لا فرق فى هذه الحالة بين كونى امرأة وكونه رجلا !! غطاء أبيض قذر هو آخر ما قدموه لك أيها التعس . لماذا أعدمت ؟ أبسبب جريمة قتل أم انك مثلى ؟ من أعطاهم الحق ؟ قوة الجماعة ؟ ولماذا يتفقون فى أحوال كهذه ، وهم لا يتفقون أبدا !! أيها الطبيب.. انه مهمتك. اريد أن أعرف الآلام التى ساكابدها . سانتصر عليكم برحيلى، فهناك حيث لا أحد منا يدرى ما سيقابل ، ان كان فناء

مطلقا أو حياة لها شكل آخر ، ساكون قد تخلصت منكم ومن كل ما كافحت من أجله ؟ ومن عـدم فهمـكم لأى شيء •• لماذا تروعه ابتسامتي ، ويهتز الماعون في يديه •• رغم اعتياده على تنفيذ الأحكام ••

« تنهدت • أرادت أن تستدير لتتابع حركته ، لكنها عادت للاستسلام لأفكارها » •

أعتقد أنه لا يشعر بأحاسيس العطف أو الشفقة • هو في الغالب يؤمن بأنني أستحق ذلك • لماذا يضطرب، لم أكلمه منذ جئت • لا شيء سوي نظرة الثبـات التى أقابله بها ، وابتسامة لن يستطيع تفسير معناها لأنهـا تحمل حياتي كلها بين ضلوعها ، وهـو لا يعرف كيف كانت حياتي • هـو فحسب يرى الأوراق وتوقيعـات التصديق على الحكم ••

ـ اخلعى ملابسك • سنضع هذا « الكبسول » لك، وسيسرى في بساطة • لن تشعرى بشيء •

جميـل ما أحسـه من قوة ، مازلت قادرة عـلى المواجهة • مسكين أيها الفتى • هـل تحتـاج منى أن أطمئنك ؟

ـ أنت ؟ أنت ؟ هل أنت ؟!

★ تريد أن تعرف ان كنت مذنبة أم لا ؟!

ـ نعـم !!

★ هل تخشى أن أكون بريئة ؟ ضع الكبسول أولا ثم أجيبك ٠

« اقتربت الممرضة ٠ أوقفتها النظرة الحازمة الهادئة والأصابع الثابتة التي تخلع القميص٠٠ امتدت يده الباردة المرتعشة تضع السم ، وانصرف يغسل كفيه ٠٠ » ٠

الآن يسرى ٠٠ سيحتاج دقائق ٠ لن أموت ٠ أحببت الحياة ، أحببتها حقا ، ابنى الصغير فحسب هو الذى سيعانى ، أما ابنتى فقد اكتسبت من أفكارى ما يعينها على فهم الموقف بأكمله بل على المواجهة أيضا ٠٠ لكن ابنى ٠٠ سوف أعيش !!

« أمسك الطبيب بمعصمها ليقيس النبض . شاهدت هروب الحياة من وجهه » سأقول لك : أنا بريئة ٠ لم أفعل ما يشين ٠ لماذا لم أمت ؟ هل يستغرق الأمر كل هذا الوقت ؟ لا أشعر بتغيير فى جسمى ٠ هل تبدأ الآلام بعد فترة أم أن المادة الفتاكة خادعة ؟ ٠٠ لن أموت ٠ أقول لك لن أموت ٠ لماذا تحدق بى هكذا ؟

« من هذه السيدة ؟ لماذا كل هذا التحدى ؟ لماذا لم تتوسل كى أتركها تحيا ؟ ان كانت بريئة حقا ، فهل تقاوم ؟ بعض القبائل البدائية آمنت أن البرىء لا يقتل والصادق لا تلسع النار لسانه ، اعتقد غيرى هذا ، فلماذا لا أعتقده ؟! أنت طبيب ٠٠ !!

★ أعلم أن تنفيذ حكم الاعدام لا يتم الا مرة واحدة .

– نعم .

★ هل تخرجني من هنا اذا بقيت حية ؟

– نعم .

★ هل تقبل تسريحي من زنزانتي دون أن يدري أحد ؟

« تأملها . ازدادت حيرته وهو يتابع مقاومة جسدها الراقد أمامه » .

– كيف ستواجهين المجتمع بلا أوراق ؟

★ لا أريد اعترافا أو تأييدا .. أنا قادرة على الحياة دونهم ، ستقبلني بلادي كما أنا .. حتى أطفال من الأفضل لهم موتي حتى لا يطاردهم أحد ، انهم يخفون عنهم وسيلة القتل وسيبقى الأمر سرا بالنسبة لهم ، لكن خروجي سيعرفهم الأمر برمته ، سأتركهم للطبيعة ، وسوف أتدخل في وقت الحاجة هم الانم الباقي لي .

« تهدلت عضلات وجهه ، ارتعشت تحت وقع كلماتها ، استمرت في حديثها » ان كانت المدة قد انتهت ، فدعني آخرج مع الجثث .

★ النهر يقطع المدينة يحملنا فى كبرياء ، يداى القويتان تشدان الحبال وكأننى أعتلى عربة خيل فى فيلم لرعاة البقر · هل أصبحت رومانسية الى هـدا الحد ، رغم أن الحبال تنغرس فى شراييني · حانت لحظة الميلاد · ما أجمل الأشرعة التى ترفرف ·

ترى ماذا يقول ابنائى اذا علموا أننى على قيـد الحياة · هل أعلن : أيها الناس لقد حكمتم بموتى · وها أنا أقدم لكم الخير ؟!

سأصبح قصـة عـلى لسانهم لبعض الـوقت ، ثم يغلفوننى بشرنقة النسيان ، لن أحتل من حياتهم أكثر من كلمات خلف القلب · أقسم لن يكون ما بيننا كلام لن يكون كلام !!

فوق جياد النهر هـذه ، ومن السفينة الشراعيـة التى يدفعها الريح سأزرع مالا يستطيعون تجـاهله ، ليشاهدونى أينما ولوا وجوههم ·

ـ أكثر فأكثر أيها الجنود ·· ظهرت الخضرة ·· أوشكنا على الوصول · لمحت أولادها يلعبون فى حقـل بجوار النهر ، بصحبة جدهم ·· لماذا خرجتم يا أولادى الى العراء ؟ هل تتعرفون على أمكم ؟

« رفع الصبى وجهـه ناحيـة الأشرعة البيضـاء الراقصة » ·

ـ أنظر يا جدى السفينة تحمل الرئيسة ·

« انشقت المياه التى تجرحها ألواح الخشب وخرج تمثال مهيب أسيدة ، اصطفت تحت قدميـه تماثيـل صغيرة صامتة . فزعت الطيـور . سأل الصبى وهـو ينبه أخته لترى الوجه الجامد الملامح :

ـ ألا يشبه هذا التمثال أمى ؟!

اجاب الجد :

ـ لقد ماتت أمك من زمن !!

سبتمبر ١٩٩٠

الشيخ حسن

عندما دخل غرفة رئيس النيابة فى البلدة التى عين فيها للمرة الأولى ، راعه تداعى البناء ووقوع الاجر من الحوائط ، تفتتت أحلامه تحت زحف العفن المتسلل وراء المقاعد العتيقة والمكتبة التى تشبه فم عجوز خال من الأسنان يتثاءب في وهن .. تذكر صور رجال القضاء التى كان يجمعها فى طفولته ، وباروكاتهم البيضاء بجدائلها المعقودة وفخامة القاعات التى حلم أن يدافع فيها عن حقوق المجتمع .. انتهى اللقاء بأن يسير الى جوار حاجب لا تلمع الأزرار النحاسية فوق بذلته الصفراء ، المنكمشة ، في شوارع قديمة ، حتى وصل الى الاستراحة . أسلمته الممرات المظلمة ، واحد تلو الآخر ، الى حجرة صغيرة كئيبة ، لها ضوء خافت ، فتح نوافذها بسرعة ، فأطلت حديقة جميلة ، آنسته الوحشة .

بعد شهور تعلم ألا يدهشه أو يزعجه شيء .. حمل أوراق قضيته الهامة الأولى التى سيمثل فيها الادعاء .

مر بنفس الشوارع ، استنشق عبق رائحة أحبها
« عالم فقير ونحن جزء منه • لتكن عدالة حتى مع
الفقر • هذه قضيتك يا بطل حالفك الحظ فجاء خصمك
الأول جاهلا بالقانون رغم شهرته التى صنعت منه
أسطورة ••

ـ هل وصل رئيس النيابة يا سلامة ؟

ـ لا • ليس بعد يا سعادة البك •

جلس على الكرسى الذى اشمأز منه فى المرة الأولى•
نظر الى الأوراق •• المتهم عبد المطلب حماد والمحامى
عنه الشيخ حسن عبد الجليل• رنت فى أذنيه الكلمات :
الشيخ حسن عبد الجليل •• (تداعت صور كان قد
استمع اليها من الحاجب وحارس الاستراحة والجناينى
والبقال وأيضا الطبيب والصيدلى عندما يجتمعون
للعب الشطرنج فى النيل •• استغرقته الحكايات ••

ـ فتحت الجلسة •

وقف الجمهور حتى اتخذ القضاة أماكنهم ، أملى
الحاجب رقم القضية الأولى واسم المتهم الذى أمسك
بقضبان القفص ، وبحث فى قلق عن محاميه • التفت
الى ضجة صدرت من ناحية الباب ، رأى رجلا ضخم الجثة
له كرش كبير يرتدى قفطانا وجلبابا يجرى مهرولا نحو
المنصة عرف فيه محاميه ، وسمع صوته خشنا :

ـ حاضر عن المتهم بالندم !!

لم يصدق عينيه عندما لاحظ عصفورا صغيرا من النار يطير حول عمامة الشيخ حسن يزداد توهجا كلما تمايل جسده وتحرك زر طاقيته ٠

تعالت الأصوات بين الجمهور ٠٠ النار ٠٠ النار ٠٠ لكن الشيخ لم يلتفت ٠ توجه الى مكانه مطمئنا ، ثم مال ناحية مساعده واستلم منه بعض الأوراق ٠ لم يكد يستقر حتى صرخت السيدة الجالسة خلفه : النار٠

أمسكت بساعده تنبهه ، أبعدها بهدوء عقد لسانها ٠٠ أخرج أحد الشبان منديلا ، واقترب متلصصا يحاول اخماد النار عن العمامة فنهره بصوت خفيض لكنه حاسم حتى عاد الى مقعده ٠

احتار القضاة ، دائما ما يثير الشيخ حسن لغطا فى القاعة ، مع كل قضية يترافع فيها ٠ قام الادعاء يشرح الجريمة ، ويستعرض الأدلة وسط تململ الناس ٠ قرع رئيس المحكمة المنصة بمطرقته أكثر من مرة وهو يحاول أن يفهم سر ضيق الجمهور وحركته التى لا يستطيع السيطرة عليها دون جدوى ٠

ـ يطرد كل من يثير الشغب من الجلسة فورا ٠٠ هذا آخر انذار ٠

بدأ المحامى دفاعه وسط تحفز الناس ، ولم تكف الأصوات عن التداخل رغم التحذير ، وانفجرت سيدة بالضحك المكتوم ٠

قال : المتهم برىء يا سيادة الرئيس · وقعت الجريمة من وراء ظهره دون أن يعلم عنها شيئا · أعرف أنها تمت فى بيته كما أورد وكيل النائب العام ولكن ··

قفز أحد القضاة مذعورا بعد أن شم رائحة الدخان ورأى خيطه يتسرب حول وجه الشيخ ·

ـ النار يا شيخ حسن ·· النار فى ملابسك ·

استمر المحامى فى حديثه وكأنه لم يسمع، وتجمعت الأصوات فى الصالة فى أزيز يعلو ·

ـ قد يرى الناس شيئا لا يراه صاحبه · من منا يعرف كل ما يدور خلفه ؟

ـ عمامتك تحترق · يا رجل عمامتك ·

تحول الأزيز الى زئير ·· التفت الى الناس رافعا يديه ، معليا صوته قدر ما يستطيع ، بلهجة مسرحية : دبت النار فى عمامتى وأنا أرتديها ، ولم تصل رائحتها الى أنفى !!

ضجت القاعة بالضحك ولم يستطع القضاة البقاء على كراسيهم ، وانحنى أحدهم يحاول الامساك بالعمامة وهو ينطق بالبراءة · تهللت أسارير المتهم والتف الناس

حول الشيخ الذى انزلق من بينهم بسرعة واضعا طرف القفطان في فمه وخرج والدخان يتراقص حول رأسه

انتبه وكيل النائب العام للحاجب ، وهـو يدعوه الى دخول قاعة المحكمة . جلس في مقعده وراء المنصة، وتفصدت قطرات العرق فوق جبينه ، رغم شعوره الظاهر بالارتياح . بحث بعينيه عن المحامى العملاق ، في حين تصاعدت حركة خفيفة ، ثم توقفت بعد أن انطلق صوت الحاجب :

ـ محكمة ..

انتهت الاجراءات الشكلية ، وتوالت القضايا البسيطة التى استغرقته ساعتين كاملتين حتى تنبه للرجل الواقف أمامه : دقيق الملامح ، حاد الذكاء ، يلقى بالدفوع فى ثقة شديدة . تساءل بينه وبين نفسه في دهشة : هل هذا هو الشيخ حسن الذى سمعت به ؟

ان للرجل مهارة المحنك العارف بالقانون ، وقد أورد حججا دامغة وأدلة لا شك فيها ..

ـ حكمت المحكمة ببراءة المتهم ..

انطلقت الزغاريد تغطى نصف القاعة ، تاركة النصف الآخر للبكاء ..

خرج وكيل النائب العام يلفه ارتياح رغم الهزيمة . أدرك انه خسر مباراة لم يستعد لها جيدا . تمنى لو تعرف على هذا الشيخ ، وجلس اليه . ولكن كيف ؟

وهل تسمح تقاليد القضاء بمجالسة المحامين ؟! وهل يتجاهل وكيل النيابة أصدقاءه من الفئات الأخرى » • التفت الى الحاجب الذى فتح له باب الغرفة ونظر اليه شاردا ، فسأله الرجل : أية خدمة يا سعادة البك ؟

ـ أين يجلس الشيخ حسن فى العادة يا سلامة ؟ اننى لا أراه فى النادى •

ـ يذهب الى مقهى البورصة فى الحى التجارى عصرا ، قبل استقباله لزبائن المكتب •

تمطعت البلدة ساعة القيلولة ، وأرسلت زفيرا حارا لزجا • تدثر أهلها بالبيوت ينعمون بالسكون ، فى حين اصطفت عربات الحنطور ، واستسلمت لأيدى السياس يغسلونها ويعلفون الخيل قبل أن يزدحم الناس طلبا لها •

جلس الشيخ حسن فى المقهى وسط الميدان الرئيسى للمدينة الوحيدة المحرومة من نهر النيل فى وسط الدلتا ، يشرب فنجانا من القهوة • توقفت عربتان امام الرصيف فى وقت واحد • نزل من الأولى وكيل النيابة، ومن الثانية مجموعة من الأعيان • هب صاحب المقهى الذى لم يتعرف على الوكيل الشاب فتجاهله مرحبا بهم• عرف فيهم الشيخ حسن ، عائلة الفتيحى ، زبائنه فى قضية كسبها لهم منذ أكثر من ستة أشهر • رفع يده محييا العمدة الذى اتجه نحوه غاضبا ومن ورائه أعوانه متحفزين •

أدرك وكيل النيابة أنه وصل فى وقت متاخر ، فآثر الجلوس على منضدة قريبة حتى ينتهى الرجـل من ضيوفه ٠

قال الشيخ : تفضلوا ٠ خير ان شاء الله يا عمده ٠ أين أزاضيكم ؟

تجهم وجه الرجـل ، وارتفعت نبرات السـخط محلقة فى سماء المقهى ٠

★ وتجرؤ على مخاطبتنا أيضا ؟!

ازداد تعجب الشيخ حسن من الاجابة وتساءل :

ـ ألم تكسب القضية ؟

★ نعم كسبها !!

لملم المحامى صبره وقال ساخرا : لماذا لم تأت لتدفع أجر من جلب لك البراءة ٠ ؟

انتفض العمدة ، ودق أصحابه العصى فى الأرض بعد أن تحلقوا حـول المحامى ٠ سـكن المقهى وترقب الجميع معركة عرفت نتائجها مقدما ٠

★ هل هذه براءه يا رجل ؟ انها براءة عادية لـم تظهر فيها كرامات ؟

هل نحن أقل من عائلة الساعى أعدائنا ومنافسينا

في تجارة الحبوب ، حتى نصبح مهزلة بهذه الطريقة ؟ كم دفعوا لك لتفعل ذلك ؟

احتار المحامي ، لم يفهم سر الغضب . لقد برأ حسان الساعي قبل قضيتهم بشهور ، لم تربط القضيتين أية علاقة . حرث الأرض بين الصبر والانفجار قائلا :

ـ نعم يا عمدة كان حسان بريئا ، وجاءني وقمت بواجبي ، وأتيت أنت بعده ووفقنا الله .

هب العمدة ملدوغا يجأر كضبع جريح : لا .. لقد قلت للقاضي « هف » ، فخاف وأعلن براءته ، ولكنك لم تفعل لابننا أكثر مما يفعله أى محـــام ، والآن يحـكى الناس حكايتك مع حسان الساعي ، ولا يذكرنا أحد ؟؟

نفدت طاقة الشيخ على الاحتمال :

ـ وهل تصدق هذا يا كبير البلد ؟

★ بل حدث . لقد رآك الناس وحكوا لنا .

ـ وتستمع الى الاشاعات أيضا ؟

نطر العمدة رأسه للخلف مغمضا عينيه ، وأجاب واثقا من ايمانه :

بلى .. لقد رأيتك بنفسي !!

يناير ١٩٩٠

مراودة

قتلته • تحررت وحررته • نزعت عنى ملابسى ، وتنفست بعمق ، ثم غمست كفى فى الدم الساخن المتدفق أمامى حتى ارتشفته المسام ، وشعرت به يسرى فى العروق وينتشر فى الخلايا • دهنت به جلدى ، لم يكن ثقيلا كما توهمت • انتشيت ببرودة وحرارة تعاقبت فحركت رغبتى فى الرقص • رفرفت حوله على أطراف أصابعى بايقاع منغم ، هفهف وحام ، ثم سكنتنى • علت النغمات ، رغم أننى لا أعى مفرداتها ، أو أستطيع الامساك بها • استقرت قدماى على الأرض لتتابع اللحن وانثنت المفاصل فى متتالية بدأت من الرأس وانتهت بالأطراف ، ورحت أتحول الى ياى ينغلق على نفسه ، فتتشابك أجزاؤه وتحتك معا ، وتضيق لتتفرج فيفلت الجسم ، وينفرد حتى يصل الى السماء •• غفت ضوء الشمس وهو يرحل ، لكنى لم أشعر باحتياج الى المصابيح • كنت أراه وأنا أتثنى وأتمايل حتى لم أعد أراه أمامى من شدة الظلام • ساعتها أحببت

لسة الضوء الأصفر من الفانوس العتيق ، خشونه الحديد الساخنة جرحت يدى ، فذقت طعم الدم النافر وفرحت به . ولم تكن لى رغبة فى لعق سائله اللزج الذى يتجلط أمامى الآن .. ابتلعت كما هائلا من الهواء المملوء بآخر أنفاس تبادلها مع الحياة .. تركته تتسلق حتى انتفخت بها البالونات الصغيرة فى رئتى ، فكدت أطير ..

كانت بيننا مسافة بعيدة مثلها مثل كل المسافات بين البشر . كان يمكن أن نقطعها معا متوازيين ، فلا نلتقى أبدا . لكننى رأيته يحرث الأرض نحوى فى تصميم ورغبة حقيقية فى أن يصبح قتيلا ، وفى اصرار غريب كى أكون قاتله . رحبت به ، وعرفت أننى ذاهب اليه لا محالة .. لكننى لم أتعجل الوصول . انتظرته خطوة وراء غيرها . قلت لنفسى قد يتراجع قليلا ، وساعتها لن أندفع ناحية منتصف المسافة . ولكنه كان واعيا بخطوه ، وحاسبا له ..

شق يرمه باستسلام ، وبذر اهتزازا داخلى ، فلم يمكننى التخلص منه الا بالدم .. يوما بعد يوم كنت أتعجب من عينيه اللتين تتابعاننى دائما . كانتا ساكنتين مثل بحر هادىء . حاولت أن أستصرخ فيه شيئا لعله يبكى ، لكن عصاتى التى شقت آلامه لم تصل الى دموعه . لم أفهم ان كان حزينا أو فرحا ، راضيا أو مستسلما ، فى داخلى علت رغبة جمحت بعد قليل

تستعذب ألامه ٠٠ لم أكن أعرف أن للتعـذيب نشـوة لا تعادلها نشوة أخرى ، ترى هل تعذيب النفس يساوى تعذيب الآخر ؟ لكن ما بالى أبحث عن متعة غير الموجودة أمامي بافراط ٠

لكزته في بطنه ٠ قام وانتظر عصاتي لتوجهـه نحو ما أريد ٠٠ سئمته ٠٠ قررت أن أذهب ٠

المدينة الهاجمة تحت نيران الحر أثارت ضجرى ٠ بحثت عن مهرب فلم أجـد غير البحر ، ألقيت بنفسى فيه ، بعـد أن وضـعت ملابسي على طاولة وشـمسيه لا أعرف أصحابها ، غصت حتى طفوت ، ثم غصت حتى طفوت ، وأدركت أن جسـمي ليس متـاحا لى تماما ولا مطيعـا ٠٠ خرجت ، وجـدته جالسـا في انتظارى يمسك بالملابس ومنشفة لا أدرى من أين جاء بها ٠

في منتصف الليل كان قد هدأ ٠٠ استنزف آخـر قطرات الحياة ٠ سكن الشارع ، وباتت العـربات في خانات صغيرة تحت البيوت ، وأظلمت عيونها ٠ لـكن هدير حشرجة لاحداها كان يشق الصمت من حين الى حين ، حتى يختفي ، يتبعه نباح كلاب يلوث الهدوء ٠٠

قلت : هل أشعر نحوك الآن بشيء مغاير ؟

لم أنتظر اجابة ٠٠ ولم أندم ٠٠ ولم أسمع في عروقي الوقرقة أو الزغردة التي كانت تتردد منـذ قليل ٠٠

ساما أو رغبة فى تجميل اخـراج لحظـة أخـيرة تجمعنا ، للمت زنابق وأزهارا ، وبعض فروع أشجار تحسست أشواكها الصغيرة ٠

وتأكدت أنها مازالت حيـة ، واونشـغلت بتضفير جدائلها معا ٠ كونت طوقا وتقدمت اليه ٠٠ تعجبت من ابتسامة لم أعرف ان كانت حقيقية أم أنى توهمتها ٠٠ رفعت رأسه وأدخلته فيه ، ثم ابتعدت قليلا حتى أرى تأثيره ٠٠ قلت لنفسى ما الفرق ؟ لم يكن ليحس بها وهو على قيد الحياة ٠ هل يشعر بها الآن ؟ وهـل حقا أريد لسؤالى اجابة ؟!!

يوليو ١٩٨٩

اجنحة الحصان

ـ لا يخض ولا يحلب ٠

★ سأشتريه ، قلت لك ٠٠ سأشتريه ٠

فارق السن الكبير بينهما لم يكن يمنع أن تجادله، ومنذ عرفت أن فيالبيت ألف دينار كاملة لا ينقصها فلس واحد لم تهدا ، ولم تكف عن الشجار ٠٠ آلاف الأميال تفصل بينها وبين عالمها الذى ولدت فيه ٠٠ رحلت وراء حلمها بالأرض والبيت مع زوجها الذى سبقها الى الحياة بربع قرن ٠ ورغم دقة ملامحها ، وسمرة بشرتها ، وجفاف لحمها الذى يغطى هيكلا صغيرا نسبيا كاحدى بنات «قنا» الا ان اللكنة القاهرية فى لهجتها تجعل المرء يحتار الى أى القرى تنتمى ٠ ولآن « أبو شريف » من نفس بلدتها ، فقد قبل الأهل أن ترحل معه الى العراق ٠ ولم تكن فى حاجة الى فتح « خشمها » ، لأن الرحيل جاء انقاذا من هم يومى يتفتح كل اشراقة شمس ٠٠

جلس ممددا ساقيه ، ساندا رأسه الى الحائط الأسمنتى ، ولهيب نيران الصيف يضرب الحجارة والأرض الصفراء المشوبة بلون الرماد في الحديقة . اصطدمت عيناه بخضرة متناثرة تقاوم الصحراء .. تنهد .

★ سنوات كثيرة حلمت فيها بامتلاكه . هو عز وفرح .. هو جاه . قليلون من يعرفون قيمته الحقيقية .. كنت فى صباى أشعر بخطواته على البعد ، وأراه مثل الهاتف يختال أمامى فى الحقل ، ثم يبتعد ، فأتصوره يطير . فكرت أن أشتريه صغيرا وأن أربيه ، لكن أين لى بطعامه ونحن نأكل بالبركة .

ـ بقرة . أريد بقرة .

★ رعيته طفلا في دار « البك » ، وبكيت وهم يبيعون الاصطبلات . أخبرنى التاجر أنها ستذهب الى بيت كبير فى الهرم ، وأنها ستشتغل فى السياحة ، وأعطانى عنوانه . أتصدقين .. «أغوانى» . هربت، وشفت مصر أم الدنيا .. عشرة قروش كانت كل ثروتى . أخفيت قروشها مليما وراء مليم فى حفرة الزير ، وقفزت فوق السبنسة ، وفى سروالى المنديل بالنقود. غفوت وصحوت، وغفوت وصحوت، ووصلت، ساعتها ، تفتحت أمامى طاقة نور . كانت الشمس فى بلدنا « حراقة » لكنها فى مصر كانت « حنينة » . خفت أن أضيع ، لكنى طمأنت نفسى : أنت الآن رجل !!

شالتنى الدنيا وحطتنى ، وأبدا لم يتجمع فى يدى ثمنه ..

ــ بقرة . أريد بقرة أحلبها فى الفجر قبل أن يرانا أحد .. « العين يابوى وآه من العين » !! قشدة وسمنا وجبنا ونشترى معهم عسلا أسود.. أو «دبس»(*) يمتلىء البيت بالخير ، نعمر الدار برائحة الخبيز ، ولأول مرة نملأ السطح بأقراص الجلة ، ويعرف العيال طعم المشلتت ، والأبورى بالسكر ، والفايش كل يوم .

ضحكت حتى ظهرت سنها الذهبية بجوار الناب.. رأته صامتا مرتاحا ، مسدلا رموشه . اقتربت منه ، ضاربة صدره بكوعها بدلال ..

ــ أمى كانت تحكى انهم لم يشتروا لبنا أبدا ، كانوا يأخذونه من بيت العمدة ، وبيوت الأكابر ، وأنها لم تر بيعه الا فى زماننا الأغبر هذا.. اشتهيت المش . فاكر المش الأحمر ورأس الفجل وكودية الجعضيض يا أبو شريف .. والنبى الا بقرة !!

اعتدل فى جلسته ، وهو يتناول منها الشاى . راح يرتشفه من « استكان » صغير يشبه أكواب « الخمسينة » فى قريته .. كانت زوجته هى قرة عينه ، عشر سنوات بلا انجاب من زوجة أولى . وجاءت هى بالخير ، ولدت الولد والثانى ، البنت مازالت

(*) عسل التمر .

ترضع · كيف يرد لها طلبا ؟ لكنه رفع صوته أملا آن تفهم ·

★ عاهدت نفسي ان امتلكت مالا يوما أن أشتريه وهنا اسماره رخيصة ·· لن يكون جميلا مثل الأشهب الذى غويته في دار البك ، لكنه سيكون ملكى · أتعرفين انهم أنواع كثيرة يربونهم في مزارع مثل الأبقار ؟

ـ حج «ياخوى» ·· حج · لن أقول لك بقرة · كن الحاج « أبو شريف » حتى تكون لك هيبة ، ويعوض الله في الألف دينار التى جمعناها بعرقنا طوال السنه سمعت أن المهندس سيوزع علينا دجاجا للتربية ، وأنهم سيبنون مناحل نملكها جماعة ··

لم يرد · كان الحصان يختال أمامه مزهوا ، يهمس شغاف قلبه بايقاع راقص ·

ـ الحاج « أبو شريف » مثل الحاج أحمد رفاعى، رحلة على المركب شهر وتعود لنا « سالم غانم » ·

تذكرت أنها بعيدة عن مصر ، وهى لا تعرف أين بيت الله سألته :

ـ هل تأتى المركب الى هنا ؟

لم يرد عليها ، وأجاب كأنه يحدث نفسه :

تركت أهلى وناسى من أجل الأرض · نعم ، لكن عينى كانت على الحصان ، مشدودا لصورته في الجبل نهارا وفى السامر ليلا ·· أعلمه الرقص على نغمات

المزمار البلدى ، وأزينه بكليم صوف من الأصلى • كم اشتقت لسماع « حسن أبو شادوف » وصوت الناى • الأرض هنا قاسية ، لكن الدنيا علمتنا أن الأرض تعطينا مثلما نعطيها • أين هواء « الخص » الذى يرد الروح • نسمة هواء واحدة لا تمر من هنا •

أجابت وهى تلف الخرق حول وسط ابنتها التى صحت فجأة : والنبى العشه التى بنيتها بالفخـار فى فى الغيط جاء اليها الهواء من مصر • ظللت علينا •• شطارة لا تقل أعدوك عليها •

اعتدل وتجهم وجهه بحديث نصف غاضب : فيهـا هواء مصر ، لأن صناعتها وفنهـا مصرى • بنيت فى المعمار فيللات وقصور وعسارات ، وحملت القصعة من بلد الى بلد ، لـكنى لم أنس أبدا عمايرنا فى الغيطان •• طوب نيىء ، وطين أسمر ، وفخار مفرغ فى أماكن الجنى الأزرق نفسه لا يعرف سر ترتيبها فى الجدران• ابنى شريف سـيتعلمها • اذا أعطـانى الله العمـر ، سأعلمه كيف يختـار فتحـة الخص • وكيف يلف مع الشـمس حتى يبقى الظـل فى الصيف يفرش الأرض بالبرد •• ينام فيهـا فى القيلولة ويحفظ الأكل من الحرارة • تعلمتها من أبوى وأخوى الكبير ، ليتنا نقلنا الأهل كلهم هنا •

ــ والحبايب •• أنسيت الحبايب فى شارع جمال عبد الناصر شخصيا !! « أم على » وجهها الصبوح •

أوحشتني دخلتها علينا ، وسؤالها عن الحاضر والغائب، وعم زهران ، وجماعة الملوم .

تمددت على الحصير المجدول من ألياف البلاستيك، ألقمت ابنتها ثديها المنتفخ ، وفكت أربطة «الزعبوط» المثلث الذى يغطى رأس الطفلة ، فانتعشت وجذبت الحلمة بكل قوتها .. ضحكت لها وتركتها ترضع راضية ، وراحت تتحسس البساط .

ناعم ولكنه ليس في طراوة حصيرتنا من أعواد البوص .

ألقت برأسها على حافة السرير ، وعدلت وضع الوسادة الاسفنجية ، والتفتت اليه : هل ينجح القطن هنا ؟ فى الصباح اسأل المهندس . آه لو بقرة أسحبها الى الغيط كل يوم . جميزة . نحتاج الى جميزة على رأس الأرض . سنوات قليلة وتظلل علينا . نربط فيها البقرة ونعود معا ساعة الغروب نحلبها مرة ثانية . يفيض اللبن ونبيعه . لا .. لن نبيعه نوفر لقمة لبكره . من يعلم ما تخبئه الأيام . اللهم اجعله خيرا .

اعتصم بداخله .. عشرة قراريط لا تكفى القوت . رحل اخوتى وعادوا بالمسجلات . والمراوح ، والكوفية الحرير ، وعباءات صوف سوداء ، وجلباب أبيض شفاف .

ـ أنت دائما هكذا .. كلما حدثتك تصمت ..

تروح وتتركنا وكأنك لست معنا ٠٠ قلت لك الحصان زينة ، يحتاج الى عليق ٠

رفع عينيه نحوها ، تركت الطفلة الثدى المنكمش معلقا وابتسمت له ٠ مد يديه ليحملها !!

يوليو ١٩٨٩

العـربة

أفزعته طرقعة الكف فوق ظهره الذى تحميه أسمال في لون التراب • مسح بلسانه ذرات القهوة التى شربها دفعة واحدة بعد أن اختلس بقايا فنجان • هرب الى الشارع حاملا كيسا ، وتسكع أمام نوافذ المحلات • التقط بيبة حمراء من فوق الرصيف ، وألقاها نحو السماء : فعادت اليه تدور • وصل الى ميدان الأوبرا ، تبول بجوار الجامع فلم تزعجه رائحة النشادر ، ولم يلتفت الى السواد الزاحف على الأرض والجدران • اصطدمت قدمه بصندوق خشبى ملىء بأحجار ملونة وبقايا معادن وحلى قديمة • سبه العجوز الملتحى بأمه وهو يلملم بقايا أشيائه • بصق ومضى يعبر الطريق قبل أن تتغير اشارة المرور • ركض بين السيارات وهو يضحك من سائقة كادت أن تصيب دراجة لتتفاداه •

مر ببائعى السجاد ، وشركة بيع المصنوعات ، ثم توقف يتأمل بضائع ملقاة على الطريق • دفعه رجل

يحمل منشة ذباب « ابتعد يا ولد » أراد أن يصرخ فيه : « الا أملأ عينيك ؟! » ولكنه لم يفعل · كان قد تجاوز الخامسة عشرة بقليل ، ضئيل الجسم ، لم تنفجـر في ملامحه علامات الرجولة بعد ·

تراكمت طبقات الرطوبة في مظلة تمنع نسـمه الهواء من الدخول للمدينة · احتمى أهلها بالكسل ، تلوى المارة في حركة بطيئة في أزقة الحي التجاري · توقف الصبي أمام مقهى « البن البرازيلي » « لمـاذا يشربون القهوة وقوفا ؟! الحاج « عيد » يفورها عـلى موقد السبرتو ، ويشربها مع أصـدقائه على مهـل · ما بال هؤلاء ؟! ·

أتمنى أن أدخل ، لكن صاحب المحل لا يسمح لي ، يخاف من السرقة ·

صرخت أمعاؤه طلبا للطعام ، تذكر المطعم الكبير في « الحسين » حيث الشواء وقطع اللحم التي يتركها الزبائن في الأطباق ·

« لا أحد يستطيع أن يمنعني فالطاولات تفترش الشارع في رمضان » ·

ابتسم وهو يتذكر الفتاة الصغيرة التي ألقت اليهم بالأمس بكل طعامها ، كانوا أربعة وقعوا فوقه ، وجرح رشدي ذراع صلاح ، ولكن موعد الإفطار مازال بعيدا ، « والحسين » خال الآن ·· سـأذهب الى «الزمالك» ، في

الشوارع الهادئة تمتلىء صناديق القمامة بالكثير ٠٠
« الحر شديد » ٠٠ التقط قطعة جيلاتى وقعت من يد
طفل ، وجلس بجوار الحائط يأكلها ، شعر أكثر بالجوع،
« فى العام الماضى كان العرب يملأون الشوارع ،
ويقذفون لى بالنقود بعد الالحاح ، خاصة فى الليل ،
بجوار عربات الحنطور ، عند المسارح ٠ يقول صلاح
أنهم لن يأتوا بسبب فلسطين والمبادرة ٠ أين هى
فلسطين ؟! هل ذهبوا اليها يسهرون حتى الصباح ،
ويسكنون شقق الزمالك المفروشة هناك ؟! »

اصطفت السيارات في الاشارة ، وصمت الشارع،
سمع أصواتا لم يميز ان كانت غناء أو بكاء ٠ أصوات
جماعية بعيدة تقترب ، بحث عنها بشغف ٠ تغيرت
الاشارة وهربت العربات ، فتراجع الناس وتقاطروا
على الخطوط البيضاء ، تلاحموا فى ضجر اختفى الضوء
الأخضر ودبت الحياة فى الأقدام ، واندفعوا يعبرون
الأسفلت ٠ علت الأصوات واتضحت فى شكل أشبه
بالنشيد٠ اتجهت عيناه الى سيارة سجن زرقاء مصفحة٠
رأى على الباب رسما ليدين تتصافحان ، تغطيهما نجوم
حمراء ، وطائر أسود ٠ هدأت سرعتها وانتظم الغناء :
من يناير كل عام ٠٠ يحبسوا النور فى الظلام٠ تسمرت
عيناه فوق أصابع تمسك بقضبان حديدية تغطى
الشباك الوحيد قرب السطح ، وانقبض صدره لرؤية
المزلاج والقفل ٠ « لماذا يغنون شيئا كهذا ؟ » ٠٠

سجنوا أمى رغم أنها لم تكسر المحلات · لقد أخذت صندوقا كما كان الناس يفعلون فى الهوجة ، وكان الطلبة والرجال يركضون فى ميدان التحرير ، الهرم ، والأمن المركزى يضربهم بالقايش والقنابل ·· نصحتها السيدة التى تخدم عندها آلا تنزل الى الشارع · ولكنها قالت عيالى وحدهم ··

وقفوا بجوار القفص ·

ـ يا حبيبى يابنى ··

التفت نحو مصدر الصوت ، كانت سيدة تتشح بالسواد قد أمسكت بيد شاب وراحت تبكى ·· أبعدهما العسكر صاحت سيدة سمينة تغطى ساعديها بالذهب · تعالوا هنا ، ثم أفسحت لهم مكانا وربتت على كتف المرأة ··

ـ من لك هنا ؟

أشارت وهى تجفف دموعها الى شاب أسمر مفتون يغنى مع الجماعة :

★ ابنى فى كلية الهندسة ·· طيش شباب ·· وانت ما هى قضيتكم ؟ هل هى سياسية أيضا ؟!

ضربت المرأة صدرها الذى ترجرج تحت السلاسل الذهبية والمصحف الكبير فزعة :

ـ لا يا أختى الشر بره وبعيد ·· مخدرات !!

★ محكمة ٠

تحركت العربة ٠٠ ركض الصبي نحوها فلم يلحق بها ، قذف البلية الى النافذة فارتطمت بالحديد ووقعت على الأرض ، ثم اختفت في البالوعة ٠٠

يونيو ١٩٨٩

اللعبــــة

تلألأت أضواء القرى البيضاء الصغيرة فى حضن الجبل ، وانعكست عــلى الطــريق الذى يفصــل بينها والبحــر • الشــاطىء شريط غرينى ضــيق ، تقبله دفقات المــاء دون أن تترك غــير علامات صــغيرة على غرامها • فتنت بالمــكان ، أحجــاره وأزهاره البريه ، انتبهت لنموذج هائل من الصلب لثور أسود فوق القمة يحرس «بالنثيا»(**)• تمنيت رؤية الطقوس البدائية التى حمتهــا ســنوات التعب ، وليس الاســتعراض والتجارة ، وسألت الصخور التى واجهت البحر : هــل أجد بين شقوقك غجرية تحمل أيام الاغتراب ؟

لمت نقطة ضوء منعكسة كأنها ارتدت من مرآة • زغللت بصرى • أعجبنى أن يباغتنى أحد باللعب ، فلما نظرت نحوها وجدتها بيتا أبيض، صغيرا، تحميه أشجار

(**) مدينة اسبانية •

اللوز والزيتون ، استدرت لأتابعه والسيارة تبعدنى أكثر فأكثر ٠

نهر جاف ومياه راكدة فى وديان سحيقة تعاقبت حتى « موتريل » ٠ أعلنت اللافتات عن موعد المباراة ، ورأيت سيارة تجوب الشوارع تحمل وحشا أسود يرفع عقيرته ٠ فى مواجهة الجمهور ٠ قرأت كلمات مستجدية على الصفيح « أنا داهب لحتفى ٠ اغفـروا لى ، واذا عدت٠٠» لم أفهم باقى المعنى ، رغم محاولاتى لتقريبها الى الفرنسية واللاتينية ٠

تمددت فوق السرير أشاهد التليفزيون ٠٠ مذيعة فى ثوب أسود يغطى الذراعين ، وينحسر عن الظهـر ، مجوف عند منتصف الصدر على شكل زهرة ، كشفت عن بشرة خلاسية مضيئة ، تلاها قماش ، ثم زهرة فـوق البطن ، انشغلت بتتبع زهرة الجسد الثالثة التى لم تبزغ فى النسيج ، والأحراش التى تنـام تحتهـا فى وداعة لم تخلق لها ٠ انتصبت ٠٠ زعقت الموسيقى ، وظهـرت علامة لاعلان ، وانقلب المشـهد الى سـاحة صحراوية فارغة لمصارعة الثيران ٠

ركزت الكاميرا على ثيران أسيرة لحظيرة صـغيرة ، وعلبة قطيفة حمراء تلمع فوقها سيوف ، وميتادور بدا صامتا ومستوحشا المكان رغم معرفته به ٠

رد فى اقتضاب على الأسئلة ٠ عرفت أنه يهرب من

الأضواء ، وأن الحلبة هي عالمه الوحيد • تحدث المذيع كثيرا ، أدلى بمعلومات والرجل مطرق الرأس ، لا يحمل أى تعبير • استوقفني جموده ، ليس جمودا • بل حزنا • نعم حزن •

ـ هل تحب الثور ؟

★ نعــم •

ضحك المذيع : مثل زوجتك ؟!!

★ ربما أكثر •• !!

رفض الاستمرار في الحوار ، وسئمت الحجرة ، لا أقوى على البقاء في علب الأسمنت • سريران ودولاب حائط ومنضدة ، ونافذة تطل عــلى البحــر • أزحت الستائر قليلا فظهرت زرقه لا نهائيه ، وأدركت مــدى ارتفاع الجبل الذى بنى فوقه الفندق • أنا أقرب الى سقف العالم اذن •• ماذا لو تدحرجت حتى أصــل الى الماء من خلال الصخور !! استهوتنى الفكرة ••• بل أقفز فوقها مثــل الماعز ، أو ألتف حــول نفسى لأصبح كــرة صــغيرة ، أو حلزونا ، أو شــهابا ينـ فع الى السهل •• استبعدتها ، وقررت تناول الطعام •

مازال الوقت مبكرا ، مشيت عــلى مهــل ، اخترت الوحدة ، وهأنذا أضيق بها فى اليوم الأول •• المطعم خال تقريبا ، تراصت أكواب وأطباق فارغة كثيرة فوق

طاولة فى ركن القاعة · صوت صفير نبهنى اليهـا · قدرت من ظهرها وانكفائها أنها تقترب من الأربعين · اخترت مقعدا قريبـا منهـا ، وجاء النـادل يجهز لى المنضدة · لم يدرك طلبى · أعاد قائمته أكثر من مرة دون أن نصل الى شىء · لم أكن أريد طعاما معينا ، لكنى رأيت أن الأنواع الموجودة خالية من الدجاج فطلبته · هز كتفيه ، ونظرت الى الناحية الأخرى · استهوانى أن أعابثه دون أن تكون لى رغبة فى الأكل · مازال الرجل يرقبنى وينتظر اجابة ·

أشار مرة أخرى الى ما هو مكتوب بالاسـبانية فى الورقة أمامى ·

صفرت وهززت رأسى يمينا وشمالا ، اصطدمت بابتسامة · كانت هى قد توقفت عن الحركة ، ووصل سكونها الى قرون استشعارى ·

قالت لى : اختر نوعا من اللحم فهو الموجود حاليا !!

اخترت النوع الأول، وتبعته بالأول من كل صنف، شراب ، وفاكهة ، وشوربة · سمعت زقزقة ضحكتهـا قالت :

ليس هناك ضرورة كبيرة للدجاج !!

ـ أدركت أنها وحيدة ، وقد ترحب بحوار : لكننى أريد دجاجا · لماذا أنت بعيدة هكذا · تعالى ··

حملت تفاحة فى صحن ، وجلست قبالتي بعينين راقصنين ، ومكر يستشف كل ما فى نفسى ، سألتنى :

ـ أنت سأمان دائما ؟ افرح قليلا .

انطلق الثور ساعة أن فتح الباب الخشبى . حام حول الأسوار ، بحثا عن مخـرج . رفس بقـدمه أحد الألواح ، ثم استدار يركض بموازاة الأسوار . تلفت حوله ، ثم وقف يزفر بصوت عال ، وبدا كمن غير رأيه .. سكن ، وساد الصمت فى المدرجات . استدعاه بالوشاح الأحمر ، نثره وانتظر .. حك الثور حافره في الأرض ثم اكتفى . مال الرجل ناحية يده اليمنى ، وأرسل نبضة الى القماش . باغته ، ورشق السهم . تعالت الصيحات : أقتله . لكنه انتظر أن يصيبه ، وعاد فأصابه فى نفس المكان ، حتى صار الجرح مستحيلا ، وازداد لهيب الثور . هاجم بعنف .. انتهى الى فراغ .

جاء الرجل بالشوربة . أشياء صغيرة عائمة . حركت احداها ، دار وسقط ، التف واصطدم بالجدار . ظهرت أسنانها واضحة فبدت أصغر من عمرها كثيرا . طلبت كأسين من النبيذ ، وأخبرتنى أنهم يصنعون أجمل نبيذ فى العالم .

مازلت أحـرك كائنـاتى فى السـائل أمامى ، ولا ألتهمها ، سمعت رنينا حادا ، رفعت رأسى ، كانت تمسك بالشوكة والسكين وتضربهما معا .. ضحكنـا حتى التقينا !!

قرقع المدرج تحت الحركة الوحشية ·· والناس تئن أوللى ·· أوللى ·

استجمع الثور قواه · زعقت : هيا ·

قالت وعيناها لا تفارقان الحلبة : الأمر ليس مجرد لعبة ·

وقف الميتادور فى منتصف الدائرة يهز الوشاح ، يتمايل مختالا · نشر الثور قرنيه · خفت أن أصرخ بأمنيتى فى انتصار الثور ، سأصبح فى هذه الحالة همجيا !!

انتشيت وأنا أراه يرفض باباء وشموخ الاستسلام، رغم عمق الجراح · وأصيب بسهم آخر· جن، صرخت: اهدأ وقاوم ·· جلست مهدودا · فات الوقت ، ركض الثور الى حتفه ، وقف الناس يجأرون باللذة ، وجوههم فيها فرح وحشى ، وسعادة يقطر منها الدم · ظنوا أنى فقدت عقلى عندما ركضت نحو السور أحاول منعه من الاقتراب من حامل الأختام ، أقصد السياف الذى يستعرض أمامنا مهارته فى الضربة الأخيرة ··

رشقها وأنا ملتصق بالحائط ويداى مكبلتان بالبشر ، فروا عنى وسقط الثورة ·

انهالت الزهور على الراقص الذى مر يحيينا منتعشا · فى التفاتته رأى قرنى كائن مذبوح تتنهد بعنف وتندفع ناحيته ، اخترقت أحشاءه قبل أن يمسك بالسيف ·· سقطا ·

يوليو ١٩٩١

مــرآة

دوامة تفور وتعلو التقطتني بلسان سحلية عملاقة • اعتصرتني في قلبهــا ، قاومت الاغمــاء ، لا أريد ان يراني ضعيفة • أمسكت بمقبض الباب لأتماسك ، دون جدوى ، فتحت الدوامة أجنحتهــا وضمتني بقســوة ، استسلمت لها دون ارادة ، فنعمت بســلام لم يطل • انسحب الليل من عيني ، وسمعت صوته يناديني من فضــاء تتردد فيه ألاف النداءات ، علت حتى ارتــج سمعي • هزتني المطرقة وأعادتني اليه بنظرات غائبة، ثم حاصرة ، ثم متمالكة تماما وواعية بكل ما حدث قبل أن أرحل عنه •

ـ حبيبتي ماذا حدث ؟

قبل دقائق ، كنت سأتمزق الى أشلاء طائرة تجرح كل ما يقابلها ، لو كان هذا السؤال قد وجه لي • الآن أستطيع أن أبتسم له وأنا في قمة يأسي من عدم فهمــه

لأى شيء ، وأن أطمئنه أنني بخير ، وأن أنسى تمام
كلماني التى قلتها قبل دقائق ، وأن أعود الى حياتى
أرعاه ، وأرعاهم بقلب رابط الجأش وأعصاب قوية ،
ليجدوا عندى كل ما تعودوه من حب وعمل ، وأن أكون
أنا .. خارج نفسى أجتر مرارة هائلة وأبدا لن أعود
لمحاولة الاقتراب منه ، كانت حماقة أعرف نتائجها ،
دفعنى اليها وهم شرف المحاولة قبل أن أضيع للأبد .

أيام والسؤال العابث بخلايا عقلى يمرح فيه بذنب
نحلة لا تهدأ : هل عرفته حقا ؟ بعد هذه السنوات هل
عرفنى ؟ أى قسوة فى تلك الاجابة ؟ وهل هناك
ما يستحق أن أقتلع سنوات عمرى لأصفها أحجارا
لأساس أعلم أن نزوة ريح قادمة لا ريب لكى تدحرج
كلا منها فى اتجاه .

ارتجفت ، لفنى صقيع رغم سخونة يده ، والشال
الصوف الذى يحاول أن يدثرنى به ، لم تنفع محاولاته
فى تهدئتى .

ـ لا .. لا .. اهدنى ، رجوك .

أحشائى تمور كرحى خاو يطحن أطرافه ، وتلك
يدى وهذه أنا أتحرق للهيب أنفاس صادقة محبة ،
وهذا رأسى وعقلى .. رباه .

رائحة نفاذة . كتمت أنفاسى .. ابتعدوا لا أريد
شيئا ، لا أقوى على البكاء ولا الفناء .

أحتاجك • كيف لم تفهم ؟ لو لم أقلها لهان الأمر سنوات أخرى . لكنني مددت يدى •• مددتها مرات ومرات •• تمزقت وأنا أحاول •• الآن عرفت أنك لا تشبع شيئاً • أنت تتلقى فحسب •• كيف غاب عني هذا سنوات ، من المسئول ؟ أنا بأوهامى عن أعبائك أم أنت ؟

أدركت إنك لا تستطيع أن تقدم شيئا •• لا تستطيع•• رباه ، كم تمنيت قبل أن ترفرف الفراشة حول عقلى أن أخنقك ، وأن أنهى حياة هذا الكائن البائس أمامى • أن أصعقه ، فمن يرفض الحياة ويعيش فى ظلها لا يستحق البقاء •• أنت زاهد فيها •• وأنا أريدها بكل ما فيها من ألم ويأس ، وسعادة ونجاح ، قمة التحقق أن تدمينا وتبكينا وتأخذ منا وتهبنا ونختطف منها ما نشاء ، وأن ننتشى بالحب ، والموت ، والميلاد ، وأن نطمح للقمم والروابى ، وأن نطير فنمسك بالسحب ، وأن نسقط معها مطرا ، وأن تتمزق أجسادنا أشلاء فوق صخورها ، وأن ندفن فننمو زهورا يانعة من جديد •

قضية زهد هى ؟!

لا ليس زهدا •• بل تركيب مرآة تعكس فحسب، تعكس ولا تشبع ، ولا يصلها شيء • كنت أتصورك كالاسفنج يمشى ليلتقط • يبتلع أولا ثم يلقى بكل ما لديه دفعة واحدة ، ويحتفظ بالقليل القليل الذى

يريد ، ولكنني فجأة عرفت انك لا تحتاج الى هذا القليل،
لا تحتـاج الى شيء ، أنت مخلـوق هـلامي لا يشعر ،
لا يتأوه • أود أن أصرخ ، لكن هل تسمع صرخاتي ،
لا آريد لك آن تسمعها • لا ريد لك أن ترى ضعفي ،
فهذا أبدا ما ان أسمح به ، الآن فحسب والفراشة تهرب
من أمام عيني ، وتلقى بنفسها الى ضوء الحجرة طعاما
لنيران لا تريدها وقودا ، لكنها هذه الغبية تفرح بالألم
والشعاع الأبيض الزائف •• سأكون مثلك رغما عني،
ولن تعود أجفاني لترفرف بوشاح ابتسام أو سلام ••

اكتوبر ١٩٨٩

الشق

نظر الى كعبه الذى ينزف دما : «ها انت يا آبا عامر قطعت نصف السكة » راح يهبط التل الصخرى الذى تقبع فوقه البلدة · « قضيت العمر كله تدوس الأرض والصخر بقدمين حافيتين أو ببلغة ، ماذا أصابك هذه الأيام ، لم يعد الزيت قادرا على شفائك ·· ولا تستطيع وضع الشمع الآن · فالجروح مازالت حية مثل جمر النار ، والشمس تضرب فيها فتزيد لهيبها أياما وتذبل يا رجل ·· مازالت الأرض بعيدة ، وان كان الطريق من الجبل الى الوادى طريا رغم الصخور » ·· هل كان لابد أن تبحر يا أبى وأنت تشترى هذين الفدانين ، صحيح أنها أرض براح لا يطبق عليها الجبل مثل غيرها ، لكن السن يتقدم ، والمسافة بعيدة » ·

تأمل المكان الذى يقطعه كل يوم ، التفت نحو بلدته ، وجدها فى منتصف الطريق بين الحياة والموت ، المزارع فى جهة والمدافن فى الجهة المقابلة · ورأى

أرضه نقطة بعيدة تتلاعب تحت الضوء الذى يصارع ستائر الليل • التفت الى النيل « ليتهم حفروك وسط الصخر لا على حافته •• لو أن كل عائلة أزاحت حجرا ما بقى شىء فى الجبل » •

راح يتجنب النتوءات المنتفخة ، وهو يتمايل على ناحية من قدمه يحاول أن يحفظ توازنه ، الى أن وصل الى الارض المنبسطة • انتهت المرحلة الصعبة •• « لماذا تخنق أنفاسنا هكذا ؟ لماذا لم تترك لنا شريطا أكبر نقتات منه ؟ سنوات وأنا أفكر أن أبنى بيتى هنا ، أن أزيل منك عند كل فجر حجرا •• يقولون كان غيرك أشطر • ولماذا أشطر هل نتركه يتفتت فوق رؤوسنا مثل القضاء المستعجل، ونحن غارقون فيالزرع والقلع ، ولا تكفى الأرض لضرع أو عيال ؟ سأهزمك يوما •• سأجمع الرجال ونقطع منك شريطا •• بعدها سنرى ماذا ستفعل ، فان استطعنا فخيرا وان لم نستطع فلن نخسر شيئا » • هز رأسه : « مالك تحدث نفسك يا أبا عامر ؟ أتتسلى لتنسى الوجع ؟ لا حق لك اذن فى الغضب من الملوم عندما يضاحكك ويناديك بأبى الكلام ؟! » •

وقف يجفف الدم من أخاديد كثيرة تنزف ، اقتطع من الجبل قطعة صغيرة من الحجر الأصفر ، وراح يسحقها بضربات قوية ، جلس يستظل بنخلة وراح يكبس التراب فوق الشقوق • تصبب العرق حتى نزلت قطرات منه فى عينيه ، مسحها بظهر يده المملوءة

بالغبار . أمسك برقبة حماره وقام يمشي ، استقبل أرضه وهو ينادى عليها ويخالها ترد عليه ، وضع الفقه على حافة الطريق وأنزل الفأس من الخرج ، خلع جلبابه فظهر السروال والصديرى الأبيض ذو التعاريج الرمادية يحدد خطوط العضلات المفتولة . رغم الوهن الواضح على الجسد النحيل ، والشمس التى طبعت لونا أسمر على جلده ، رشق الفأس فى الأرض ثم قلب حول أوردتها ، وانتزع الحشائش .

مرت الساعات دون أن يدرى أنه يستودعها شريان الحياة المتدفق منه ، تململت وأعطته طبقة وراء طبقة . « الآن تستحقين السقاية . سأفتح لك الباب لترتوى ، ويترعرع الفول . محصولك وفير هذا العام باذن الله .. ضرب السدة بيدين قويتين فاندفع الماء يحتضن الأرض المطشى ، ثم يختفي .. انتقل الى حوض البرسيم يحش غذاء البقرة . اشتدت الشمس ، رفع رأسه الى السماء ثم استدار نحو البلدة ، رأى خيالا عرف فيه « نجية » ، نقل حمل البرسيم الى التعريشة فى حضن الجبل ، ووضع بعضه أمام الحمار فى الظل وجلس ..

أنزلت « نجية » صرة الطعام من فوق رأسها وهى تنحنى : « قم يا رجل ، هنا رطب ، ألم يكفك من الشمس اليوم بطوله » دخلت من الفتحة الى الغرفة الصغيرة المبنية بالطوب اللبن وأوانى الفخار ، ورغم

أنها لا تزيد عرضا عن متر ونصف ، وطولا عن مترين، الا أنها تنفست وكأنها فى الجنة ، فالفخار يجلب الهواء من الجهة البحرية ، والطمى يرطبه قبل أن يصل الى الداخل • فرشت المنديل : « هات لنا قرنين فول نكسر سم المش » • هم بالوقوف فلاحظت قدمه ، استوقفته ، ونزلت تمر بين العيدان ، تلتقط واحدا بعد واحد ، تتمايل تحت أصابعها الشجيرات الصغيرة دون ألم ، فالنوارة تنتشر فوق الفروع • بعضها أغمض عيونه السوداء ، وجمع الأوراق البيضاء حول الجنين الجديد • مازال الوقت مبكرا لجمع المحصول ، لكن الحقل لن يخيب رجاءها ، عادت محملة بحفنة صغيرة غضة • وجدته يشد قدمه الى بطنه « قلت أسيح لك الشمع فى الليل ، لكنك لم تقبل • حتى كلمة آه تحرمها على نفسك » •

« قلت لك ألف مرة لم يعد ينقصها شىء » •

« ساعات يهىء لى أن أمراضنا ولدت معنا ولن تنتهى الا بالمرت !! »

« لا • مستحيل • صحيح أنا صابر والحمد لله لكن لابد أن أجعلها تطيب » •

أنهى طعامه ، وقام • عاد الى فاسه يسوى الأرض غير المروية فى الحوض الأخير •

التقطت أغصان « الخبيزة » من عند طرف الغيط ،

وحملتها الى التعريشة . وراحت تقطف أوراقها ، ثم لفتها فى المنديل .

انكسر عمود الشمس ، راحا يحشان البرسيم معا . التهمت عودا صغيرا أخضر على مهل ، وهى تغنى «يابنت الأكابر يا سايجة الدلاعة ، ياسكر مكمر من أحسن بضاعة » ..

حملا الحمار بالبرسيم ،وسحبته عائدة الى بيتها لتجهيز العشاء ، بينما راح يتوضأ لصلاة العصر .. « انتظرى . سنمشى معا . أنا متعب اليوم » . فى الطريق لاحظت تمتماته وابتسمت ، لكن الصبر خنقها عندما راح يشوح بيديه متوعدا الجبل « ألم يكفك يا رجل ؟ ستجعلنا مسخرة البلد كلها » ـ « كفى ، لن أموت قبل أن أهزمه . ألم تسمعى ابن عبد الواحد يقول : ان بلادا كثيرة تزرعه .. أراهنك أن النهر كان يمر على حافته ، وأن أجدادنا هم الذين قطعوا منه هذه الأرض . فلم نفعل مثلهم ؟! » ربتت على كتفه ، فأبعد أصابعها «قلت لك أنا قادر . اليوم سأجمع الرجال» .

ـ هل نسيت العام الفائت ؟ لقد تركوك تتكلم ، وقالوا انك ستموت يوما تحت حجارته .

★ سأعتليه هذه المرة من أعلى وسألقى بالصخور ، وأنزل بالحبال حتى أضمن عدم انهياره فوقى .. لو أنهم يقبلون مساعدتى حتى نكون جماعة ؟ سأحادثهم الليلة . سأحادثهم .

عاد محملا بالهموم من دار عدنان ، وقد صمم أن يبدأ العمل منفردا ، لم يوافقه نفر واحد • انسحب الجميع كل بعذر مختلف • راحت كلمات العمدة تطرق يافوخه « هذه حدود النعمة • انك بفعلك هذا سوف تقلل من بركتها » •• لم يستطع النوم ، قرر أن ينتظر الفجر جالسا • جاءت زوجته بالشمع تسيحه فى الشقوق • ترك لها قدمه واستمتع بالسخونة المتسللة الى عروقه ، انسابت تخدر أعصابه ، فاستسلم للنوم ، وهى تنهى عملها فى القدم الأخرى •

قفز من فرشته مع أذان الفجر ، هرول نحو الجبل وحيدا • وعندما وصل أرضه ، وضع علامة وعاد الى الصخر • أخذ يكسر أحجاره من فوق الطريق ، حتى أذن الجامع للظهر • ترك الجبل وانزلق الى أرضه ، وجد زوجته واقفة تتعجب ، ساعدته فى جمع الأحجار بعد الغداء ، وتركته الى بيتها •

لم يعد مع الغروب مثل كل يوم • ازداد قلقها عندما تكاثفت الشبورة الزاحفة • دخل عليها مهدود الحيل ، لكنه مسرور ، ابتسم وهو يمضغ الطعام ، ولم يرد على كلماتها بغير هزات من رأسه • طلب أن توقد قوالح الذرة فى « المنقد » وصعد الى ظهر الفرن لينام •• مرت أيام وهو ينقى الحجارة من الجبل ، وينزل لينقلها • سمع سخرية القرية دون أن يعبأ بها : أتنقل الجبل حقا ؟ ، عشنا وشفنا •• !!

وقع الشمع دون أن يلتئم الجرح ، لكنه لم يلتفت اليه ·

هرولت الأيام نحو شتاء قارص · احتمى بقـوته وصبره بعد أن أكمل ما يريد فى أعلى الجبل ونزل الى قاعدته · انهار تحت فأسه قطعة وراء أخرى ·· جاءوا يشاهدون ما فعل : « كل هذا العناء من أجل شبر يا أبا غامر ؟ » لم يغضب · استمر يسوى الأرض · انتزع فسيلة نخل من حضن أمها بحنو شديد ، راح يدفئها فى صدره قبـل أن يغرسها فى الحفرة ، ويكبش حولهـا الطمى ·

عاد مع الغروب ، لم يميز البيوت · فالغبار يلتهم القرية ، والناس على البعد يركضون ، تلفت حوله · خلت الغيطان من الفلاحين وأولادهم ومواشيهم « ماذا حدث للناس ؟ حتى أيام الحريق الـكبير لم يختفوا من الحقول هكذا ؟ » سمع « الشق ·· الشق ·· » ·

نظر الى قدميه لم يجد الدم يخطط الطريق ، راحت جروحه تلتئم فى غفلة منه · ركض نحـو الصـوت ، تململ الجبل تحته واهتزت أذناه بضحكاته المجلجلة · وصل الى مكان القريه ، وجد شقا يتسع فيها ، يلتهـم الجانب الأكبر منها ، والناس تولول وتنادى والقرية تبتعد ، ترحل الى الأفق ثم تختفى · وقف على الجهـة الأخرى من الشق غير خائف ··

نوفمبر ١٩٩٠

هى

أخذوه وسط عويل أولادنا ، اختفى ، ولم تنفع لى حيلة فى معرفة مكانه . تهت وراءه كل يوم فى سراديب الداخلية المعتمة . تحسست طريقى فوق أحجارها الباردة . تلوث الطرق تحت زحفى ، فتخبطت فى جدران سوداء خشنة . طوقتنى الكآبة رغم اصرارى على التمسك بالأمل .. بين حين وآخر أسمع صرير باب يئن فجأة ، ويخرج منه عسكرى صامت وهزيل .. كنت أتصور العسكر مثل أبطال الرياضة : فتوة وعنفوان..

اليوم بعد انتظار طويل ، وبعد أن دفعنى أحدهم فى كتفى حتى كدت أرتطم برصيف الشارع ، رأيته .. كم كرهته . كل هذه السمنة المفرطة والأناقة لم تخدعنى. خلته قمينة طوب بشكله المخروطى «والبايب» يحترق فى فمه ، لكن مشاعرى هذه لم تمنعنى من أن أنحنى تحت قدميه .. أجفل ، وأسرعت الأيادى تحيط بى وتبعدنى ، لكننى كنت قد تشبثت به . انهمرت

دموعى : أين زوجى ؟ هل هـو حى ؟ بالله ، وحيـاة عيالك ، أجبنى • أخذوه ذات فجر ؟! ثلاثة أشهر وانا أركض هنا وهناك بلا دليل •

تلاطمت أياد تمزقنى ، وسمعت صـوتا رفيعا : كيف وصلت هذه الحشرات الى هنا ؟!

ــ ابتعدى ياست • قلنا لك ألف مرة ، حرام عليك، ستخربين بيوتنا • تعالى هنا •

★ خصم ثلاثة أيام يا عسكرى •

رفعت وجهى وبصـقت عليـه بكل ما أملك من احتقار ، لكنه اختفى فى السيارة تطارده صرخاتى ، ولم أعبأ بالضربات • مضى الموكب الى حاله ، فانفضوا عنى •

ــ يا بنيتى حرام •• تسببت فى ايذائنا جميعا •

★ كلكم كلاب •

ــ الله يسامحك •• نحن مثلك لا حول ولا قوة •

★ جبناء •

رحت أبكى أيام الحب والكراهية • أبكى ميـلاد ابنتى التى ارتدت يوم سـبوعها فستانا أبيض طرزت عليه ثلاث زهرات تتفتح على أشعة الشمس • غزلناها بالفرح والأمل •• أطفال أربعة كيف لى باطعـامهم ؟ سؤال لم أفكر فى اجابته بعد •

لملمت أطرافى المبعثرة على الرصيف • استشعرت سخونة اليد التى تلبسنى الحذاء •

★ لن تكون هذه زيارتى الأخيرة • سأكون كل يوم أمامكم هنا ، سأجمع الأهالى ، لن تبتلعونا بهذه السهولة •
« اين أنت الآن ؟ أريد أن أسمع تفسيرك للأحداث • لماذا كانت كلماتك غير غاضبة وأنت تفارقنا ؟ لماذا هذا التسامح معهم •• هؤلاء رفاق الكفاح • عندما شعرت بك تجهز حقيبتك التى اختفت لسنوات تحت سريرك وواجهتنى بابتسامة ، فهمت :

اعتقالات جديدة • كنت تعرف أنهم فى طريقهم اليك • فلماذا لم تهرب ؟ لكنك رفضت • « بل سأواجه قدرى •• لن تطول المدة ، سيرسلون الينا لاجراء حوار أن عاجلا أو آجلا •• » لم يجد البكاء ولم أتحمل الصمت •• عشش السهاد فى كيانى ، وسكننى الخوف، وكنت أفزع لاهتزاز سيارة فى الشارع • لم أعرف ليلتها كيف سحبنى بساط النوم فوق أجنحته ليقذف بى فوق طرقاتهم التى تخلع الباب •• كان هادئا متماسكا فى سبيله ليفتح لهم •• رباه أين أنت لتفسر ؟! قدماى تئنان تحت ثقل جسدى لكننى سأتحمل وسأصل •

غريب •• كل هذا الظلام فى مدخل البيت رغم الضوء الساطع فى الخارج ؟ الى متى سأترك هذا المصباح دون تغيير •• أرى شبحا يتحرك قرب بابى •• « نعم أنا • تفضلى » • لابد أنها من الحائرات مثلى •

هلل الميال لحظة دخولى «هل عاد بابا من السفر؟»
لم أستطع الاجابة .. تقدمتها الى حيث تستطيع الجلوس ، ووضعت براد الشاى فوق الموقد . عدت لأجدها واقفة أمام صورته على الحائط « أهلا » . واجهتنى بعينين مغرورقتين بالدموع .. تتابعت كلماتها المخنوقة تحت ضغط محاولات يائسة لكتم البكاء . عرفت فيها زميلة نضال جاءت تعرض المساعدة . أرادت أن ترى الأطفال ، ناديتهم فتحلقوا حولها ، واحتضنوها . مضت. بعد أن وعدتنا بزيارة أخرى . نسيتها وأنا أستعرض ما مر في يومى . وفى الليل اجتمعت بعدد من الزوجات واتفقنا على خطة المواجهة . لن تذهب اليهم احدانا وحيدة أبدا .

تكررت زيارتها حتى أصبحت يومية . أغرقت الأطفال بالحلوى والهدايا ، وعرضت البحث معى عن عمل نقتات منه، فأخبرتها بأننى سأتسلمه غدا بالفعل. حيرتنى . من هى ؟! هل هى من الداخلية ؟ وهل يحتاجون للتجسس على امرأة ضعيفة ، وأطفال صغار، وعجوز لا تفارق سريرها ؟ ماذا لدينا ليرسلوا لنا هذه الفتاة ؟ لم أطق صبرا عندما عدت مساء اليوم من عملى لأجد حذاءها بجوار الباب ، وهى راقدة على البساط تضحك وأطفالى فوقها يحاولون انتزاع الكرة « ماما .. ماما » ، انتبهت لوجودى ، فقامت تعدل من ثيابها ، وخرج صوتها يرحب بى وكأننى/دخلت الى عشها هى ..

ـ من أنت ؟ أنا لا أعرفك ؟ تدخلين بيتى وكأنه ملكك ، تعيشين مع أولادى دون سبب ؟

★ أرجوك · أريد أن أكون بينكم فحسب ·· هو ·· أنا كنت أعرفه « أنا » ·

أى علاقة تلك التى تبيح ظهورك المفاجىء واحتلالك مكانى ؟

★ أرجوك ·

ـ غادرى فورا ··· لا أريدك هنا مرة أخرى دون تفسير ·

تراجعت نحو الحائط بذعر لم أفهمه ، احتضنت الأطفال فى قوة أرعبتنى · من هذه الفتاة !؟ خرج صوتى آمرا لها بالانصراف ، تركت الأولاد ينسحبون من بين ذراعيها ، وكأنها تعانى سكرات الموت ، والدموع تنثال على خديها ·· رباه ألا يكفى ما أواجهه حتى يأتينى هذا ؟

اليوم عرفت أنه حى وسيرحل قريبا مع زملائه الى سجن الواحات ·· لأول مرة أنام فى هدوء ·

استيقظت على طرقات خافتة · من سيخرجنى من تحت الغطاء الدافىء ؟ اننى لا أنتظر زائرا اليوم ؟ أوهام · لابد · أن الأصوات فى رأسى أنا ··

فى الشتاء يمر النهار مثل جذوة نار ضعيفة سرعان ما تبتلعها الرياح ·· « نعم ·· نعم سأفتح حالا · أنت ثانية ؟ ماذا تريدين ؟ »

★ الأطفال • أريد رؤية الأطفال • أرجوك •

ـ لماذا ؟

★ أدخليني ، الجو بارد وأنا أرتجف •

سمع أولادى الضجة • جاءوا يستفسرون •• قبلتهم وكأنها طفل مذنب يعترف ، ومضت دون أن أفهم •• كنت أعود لأجدها جالسة فى انتظارى على السلم تقوم لتمسك بى وتبكى ، تركتها مرات كثيرة دون دعوة ، وأدخلتها الى البيت بعد أن عانيت من نحيبها ساعات أخرى •

أيام وراءأيام وأنا أحاول حل هذا اللغز بلا جدوى •• أخبرها الأطفال اليوم أننا سنرسل اليه خطابا فى الغد •• بكت ، وضحكت ، وكادت تصرخ وهى تدفعنى راكضة نحو غرفة مكتبه ، قبلت أشياءه ، وأمسكت بولاعته ، وكوفيته التى بقيت مكانها فوق ظهر الكرسى ، قالت « أنا وأنت شريكتان فيه • هو حلمنا معا • هنا أجد الأمان فلا تحرمينى رؤيتكم » • طردتها وأنا أرفض أن يكون قد خدعنى ، وأنين صوتها يأتينى من خلف الباب يقسم أن ما يجمعهما لا يمسنى أبدا • بكيت حالى بعد رحيلها ، ولم أستطع أن أخط حرفا واحدا فى الخطاب • لكننى تغلبت على غضبى عندما تذكرت أنه أول اتصال بيننا ، وكتبت اليه دون أن أذكرها بشىء •

أيام وأنا أسمع نحيبها وراء بابى ، والشهور تمر ،

وهى تنتظر أطفالى عـلى رصيف الشـارع لتقبلهم فى الصباح أثناء ذهابهم الى المدرسة • أحس دبيب حركتها وراء الباب الموصد فتتقد أعصابى ، وأدفن أحـزانى فى وسادة لا تعطينى أى دفء ••

اليوم لم أستطع تحمـل بكائها • سـمعت نميق الرياح ودورانها بالأتربة ، الفصول تتعاقب ، ونحن مازلنا ننتظر • فتحت الباب لأدعوها الى الدخول ••

ديسمبر ١٩٩٠

زهرة الخريف

ــ هل أنت معى ؟

اقتربى أكثر .. أشكرك يا حبيبتى .. عرفت ؟
هل عرفت الآن ؟! أنت حبيبة عمرى .

★ أرجوك . كفى شرابا .. جئت لأحدثك، وأنت
تمضى وتتركنى الى عالمك المغلق .

ــ لماذا لا تأكلين شيئا ؟ تناولى كأسا معى . كأســا
صغيرا ينعشك تحركى صبى لنفسك كوب ماء .

★ لا أحتاج الى مساعدة كى أغيب عن الوعى .
أستطيع أن أسكر بمجرد الهبوط الى الداخل والانزواء

ــ أعــرف .

★ لكننى لم أخبرك أبدا .

ــ سنوات عمرى هــذه تكفى لكى تحــدد أسباب
الشجن .. لقد كنت تستحقين ما هو أفضل .

★ تعرف اذن لماذا أهذى بين الحين والآخر ·

ـ ليتنى قابلتك أول الطريق ·· لقد أفسدنى كل من قابلته حلمت ببيت أنت فيه ·· ضاعت حياتى·

★ فى مكان ما تنتظرك امرأة بعينها · ستكون لك كما تريد ·

ـ أتصدقين ذلك حقا ·· أتصدقين أننى مازلت فى انتظارها ·· فى انتظارك ·· عرفت كثيرات ، أنواع ، تعبت من الشانيات والحانات ، أنا لست سكيرا· أرجوك لا تظنينى كذلك ، أنا فحسب أريد أنسى ما وصلت اليه ·

ـ أنت فنان عظيم : أحيانا أود لو قبلت أصابعك التى تشف بالموسيقى · أنت تحملنى على السفر الى روحى فأتوحد معها ·· أنت فحسب القادر على هذا ·· ومع هذا أنا لست غايتك ·· انتبه سيقع الكوب منك· انه لا يناسب قطعة الثلج الكبيرة هذه ··

ـ انظرى ·· !!

أدار الثلج فوق الحافة ، رقصت الصور أمام عينيها ، خافت أن تضيع ، أن تقول ما حرصت على اخفائه ، فاضت قطرات صبوحة فوق الطاولة وهو فرح كطفل يمسك بألعاب نارية تطقطق بين يديه ·· انزلق مكعب الثلج فى السائل الذهبى ، غاص ثم صعد يزفر

ويدوب وهو يرفس ويقاوم دون جدوى، أمسك بكتفيها وهو يشرق بضحكة مجلجلة ٠

ـ أحبك انت ٠٠ آتفهمينى ٠٠ آنت من أحبك اقتربى ٠٠

دارت أصـابعها حـول كفيه تحتـويهما ، تود أن تقربهما الى صدرها ، ارتجفت رغم تساقط وهم الحوف ٠٠ أى تقاليد الآن ؟ لم تعد شابة ، خجلت من عواطفها، نسيت التجاعيـد وزحف اللـون الأبيض الذى يضرب موجات الليل الأخيرة فوق تاجها المنعقد الآن فى جمـود عند رقبتها ٠٠ راحت تغرق فى همسات داخلية « من يحكمنا حقا ؟ ما نعتقده ونؤمن به أو ما نخـافه ؟! » عادت اليه ، كان قد اتكأ على المقعد فى شبه غفوة ٠٠ استحثه أن يفيق » ٠٠

★ أرجوك ٠ ابق معى دقائق ٠ تنبه ٠

كان قد انسحب الى عالمه لا يعى وجودها ٠ لم تعبأ بمن حولها ، انشـغل الجميع فى همومهم وضـحكاتهم يفتنون ملل الحياة ، كانت الوحيدة التى سكرت دون أن يصل جوفها غير الصودا، راحت تهذى دون خوف ربما لأول مرة ، أرادت أن تغنى بكاء حزينـا ، سمعت فى أعصابها صوت ناى ، ورياحا تضرب صدرها ، تعوى الوحشة فى ليلة شتاء ، حاولت أن تتذكر متى اكتشفت عبثية الحيـاة ، ثم عادت تلقى بمحاولتهـا فى سلسلة

النسيان ، « يومها كدت أشق طريقى اليك ، وأسألك أن نترك كل ما يحكمنا ونعيش ما نريده ·· كنت أراك تنتقل من زهــرة الى أخــرى ، واعرف انهــا أبدا لن تشبعك ، فانت تبحث عنى أنا ·· لكنى لم أستطع فك أسرى والخروج من مصيدة بنيتها بصبر طوال ســنوات الشباب ·· من يصدق أننى أستطيع أن أستدير مخلفة حياتى « من أجل رجل ·· »

علا صوتها حتى سمعه الجميع ·

« نعم من أجل رجل » ·

لم تعد ترى غضاضة فى أن يعرف الناس سرها · رفعت بعض العيون جفونها لتتابع الصوت ، ثم عادت تنعم بالغروب واستمرت هى « نعم · من أجل رجل » ·· تحرك النادل يغير الأكواب· اصطكت الزجاجات فى يده تعزف لحنا يخبو فى ركن القاعة ويعلو فى الاتجاه الآخر · وهنت أصابعه التى تنام فى كفها ، وارتحت ذراعه حتى سقطت ، تنبه قليلا ورفع وجهه بيطء نحوها ثم التقط الكأس مرة أخرى ·

ـ ارجوك كفى · ابق معى دقائق ··

واجهها بعينين فجرتا كيانها ، ثم رحل عنها يكمل ارتشاف أيامه على مهل ، يتذوق طعمها · ذابت مرارتها فى حلقه ، واختلطت بالشراب المعتق ، مسافر أيدى بلا متاع أخطو فوق صخور مدببة ، لم أقبــل قوالب

الحياة ، حريتي ٠٠ عشقت حريتي ٠٠ حتى النســاء كانت كل منهن تلتف حول رئتي فتمنع وصول الهــواء متى أحط الرحال وأرتشف من ثدييك رحيق طفــولتي ٠٠ وأنت ٠٠ أنت ٠٠ انتبه لوجودها ٠

ـ هل يضيرك أن أسرح قليلا ٠٠ أو أتوقف عن الكلام وأمنع نفسي من مواصلة مالا أريد أن أقوله ٠

ـ لا ٠٠ فأنا أستطيع تكملة ما تبوح بما تكتم ٠٠ أستطيع أن أحكيه لك ان أردت ٠٠

ـ أنا عطشان ٠

ـ أعــرف ٠

ـ أشتهيك ٠

ـ أعــرف ٠

ـ تعرفين وتصمتين ؟! ٠٠

فبراير ١٩٩٠

النشوة والخوف

اشتد عزف الريح حـول السيارة • سـاد الجـو اصفرار منع الرؤية • تسلل عشـاق الـكورنيش فى حزن ، وابتلعتهم الطرقات الجانبية •

ـ قالت : هل نذهب ؟

ـ قال : تحمينا سيارتنا من الأتربة •

وضـع فى المسجل شريطا لموسـيقى « زامفير » وصفارته الحالمة ، والتفت اليها مازحا :

ـ ما رأيك لو اشترينا سخانا ؟

ضحكت بصوت عال : سخان وخيمة فوق الرصيف هما ما أريد •

ـ أنت كل ما أريد •

تسللت أصابعها ترتب شعره المجعد ، اقترب منها وطوقها بذراعيه ، تلاشت • ذكرته أنهما على الطريق ،

رفع رأسه وواجه عيونا مبتسمة ترمقه من خلف الزجاج • بادل العاشقين التحية • عاودا استرخاءهما ورحلا يحلمان ببيت دافىء • ألقت برأسها فوق كتفه •• انقشعت الأتربة واختفت فجأة كما ظهرت • أمسك وجهها بكلتا يديه • تحفزت في صدره مشاعر طال أسرها ، وبدا له أن لحظة انفلاتها قد حانت • قبل أن يلمس وجهها ، سمعا طرقات غريبة فوق زجاج نافذتها، التفتا ، فشاهدا شابا يضرب الباب بقدمه • أطلت تستطلع سبب العدوان • التقت عيونهما ، استنكر أن تبادله النظر بهذا الغضب ، ركل اطار السيارة الخلفي ثم لحق بأصدقائه •

مالت الشمس وارتفع ضوء الكشاف المطل على المرفأ • عزفت الريح لحنا خشنا أفزع الأوراق والرمال فتطايرت نحو فوهة النور الأصفر • انقبض صدرها وأغلقت عينيها بشدة « أكون له أو لا أكون ؟ أرى النداء المكتوم يصرخ بين جنبات صدره دون ميلاد •• من ألجم نداءه ، أنا بأفكارى وعقيدتى أم بحرمانى ؟ أو هو الأمل الذى يرحل كل صباح قبل أن نراه في الأفق مثل قوس قزح المندى بماء المطر ، سرعان ما تاتى الشمس لتمسح دموعه وهى تلتهمه ضاحكة !! ؟ » •

تفتحت أهدابها مع لمسة يده فوق كتفها ، رأت وجهه مسترخيا عرفت فيه راحتها وسكونها • خبأت وعيها في صدره ، والتصقت برقبته فاحتواها •

انزلقت شفتاه تبحثان عن شفتيها ، مسحت شعرها ووجنتها ، ذابا ، اعتصرها • أضاءت النشوة مناطق لم تعرف لها وجودا من قبل ، جذبها ، استدارت واجهت جسمه - مالا مع المقعد ، امتلأت رئتاها بانفاسه ، جرى مذاقها مع الدم يصبغ كل شريان بقبلة محمومة ، حشدت طاقتها ووهبته موجات من الشوق المأسور منذ سنوات • اكتملت ارادتهما في الانصهار ، لكنها تمزقت تحت مقصلة الشارع • صرخ عجزه ، انتزعها من بين شفتيه ، واجه حلمهما المبتور ، اندفع نحو صدرها يزيح القماش الرقيق ، ومسح جبهته مرة وراء مرة ، تمزق ركام الاحباط اليومى •• بكت حرقة التفتح ثم الانكفاء ، لملمت رغبتها ، ألبستها ثوب السكون ، وحاولت أن تدثره به ، أمسكت برأسه ، ارتجفت • أرادت هواء كثيرا يملأ رئتيها ، رفعت جذعها ، اصطدمت بعينين تتحركان داخل السيارة ، صرخت فارتبك الرجل وتراجع خارج الشباك ، •• أدارت المفتاح دون وعى بين أصوات همهمة وحركة شلة شبان كانوا ملاصقين للعربة ، تقلبت العجلات تعانق الطريق بوحشية ، واختلطت فى مشاعرهما النشوة بالخرف •• بعد مئات الأمتار ارتعشت أصابعها فوق المقود •

ـ توقفى • اهدئى أرجوك •

استكانت أنفاسها اللاهثة مع زفرات الموتور

الأخيرة ، انحنت فلامست جبهتها المعدن البارد ، فأكمل دائرة الرعشة • ضمها بقوة •

ـ لا تخشى شيئا • هـو فضول لا أكثر • آسـف لتمريضك لهذا ••

لفهما ألم • اجترا مرارة هائلة • تمنيا أن يعودا طفلين يلعبان في فناء المنزل الكبير ، نضجا معا ، نعتهما الأهل بأنهما « ولدا فوق رؤوس بعض » ، يتشاجران كلما اجتمعـا في مكان واحد • كان يكـره اعتزازها الشديد بنفسها ، وأشيائها ، لم ينتبه لها وهي تتفتح• كانت امتحانات التخرج على وشك الانتهاء حين لمحهـا آتية من بعيد وقد تركت لشعرها حريته ، فبدت أشبه بآلهة الأولمب ، اقترب منها والغضب يطقطق تحت جلده ويتقافز • انتحيا جانبا :

ـ أنت في جامعة ، ولست في ملهى •

ـ من أنت حتى تعنفني ؟

ـ لن أناقشك الآن • لا ترحلي دوني •

خرجا الى الطريق • كان يريد أن ينهي الحـديث معها بجذب ضفائرها الطويلة كما كان يفعل دائما • أسكتها الغضب • أراد أن تعنفه ، لكنهـا لم تفعـل • ضمت حقيبتها الى صدرها تحتمي بها من البرد ، خلع صدريته وأحاطها بها محاولا أن يحكم اغلاقها عليها ،

لكن خصلات الشعر أعاقته ، رفعها بعيدا عن رقبتها ، ثم عاد وحررها • اختفى غضبه وهى تحاول أن تثنيه • احتوت أصابعه كفها ولم تتركها •

انفتح الباب من ناحيتها فجأة وسمعا أمرا : انزلى •

أمطرت الدهشة سكونا لفهما ، التفتت اليه ، فتح الباب الآخر بعنف ليواجه شابا يجذبه • أحاطت بهما الأشباح ، مسحت نظراتها الطريق فزعة ، لم تجد احدا، اختفى المارة من زمن ، انتبهت ليد تشـد قميصها ، عرفت فيه راكل السيارة • لكمته فى وجهـه • راعه تحديهـا له • تمزع الثوب وهو يسقطها من العربة • اندفع غضبها يمزقه فتقطع جلده تحت أظافرها التى جرفت الدم من ذراعه ، تمكن من يديها ، سحبهما الى ظهرها ، تخبط رأسها فى صدره عنيفا ، أمسك بشعرها يلويه حتى صرخت • توسـل حبيبها أن يتركوهما ، جروه خلف السيارة ، وكممه أحدهم بمنديل • القاها آسرها على الأرض ، ارتطمت بالافريز وفر حذاؤها ، تشبثت باطار السيارة ، واندفعت ركبتها فى بطنه • اشتعل غضبه فغرس أصابعه فى كتفها يريد أن يوقف حركتها وهى تتلوى تحت ثقل جسده دون جدوى « لن ينالنى قط • نعم لن يحدث •• » تحجرت مشاعره عند رغبة فى اذلالها • ضمت ساقيها • رشـق ذقنـه فى رقبتها ودفع كوعه بسرعة مباغتة فى بطنها • ترنحت ، تمكن منها • فر الدم الثائر أمام هجماته • بكت صورة

عروس تزف في بلدتها وهي بعد طفلة ، وارتجافها أمام منديل أبيض يرفرف ببقع حمراء فوق عصاة عمها . سقطت في ظلام كهف تسكنه أشباح ترقص امام منفذ الهواء الوحيد، سمعت هدير بركان ينفجر والحمم تركض نحوها . جرفتها .. طفت فوقها ساكنة . ظن أنها استسلمت له . ابتسم ولفظها . لم تتحرك ، راعه مواتها . مد يده يتحسس أنفاسها ، عرف أنها غائبة عن الوعي . لطمها .. انتفضت ، تطايرت ضرباته فوق وجهها .. راعه أن تغيب عنه ، نادى رفاقه . تقدم أحدهم منها ، أطلت فوقها أجساد وأجساد لم تعد تفرق بين الوجوه ، لفتها برودة . لم تعد تسيطر على حركة جسمها . تمددت ساقاها ، تخشبتا ، حاول أحدهم وحاول ، لم يستطع . أفلتها وهو يركلها .

هربوا لم تعد ترى غير الظلام والرفيق المكوم بجوار الافريز ، « كنت دائما أفخر بقوتي .. أين هي الارادة الآن ؟! » .

ضغطت على جراحها تستنزف آخر قطرات الدم بها ، واستجمعت يأسها . رأت المفاتيح مازالت تهتز في مكانها ، ألهبتها نارا فاشتعل المحرك وقطعت المسافة أطاحت بثلاثة منهم على الطريق .

ابريل ١٩٨٩

الفهرس

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب١١٩٣١ / ٢٠٠٢

I.S.B.N 977 - 01 - 7928 -0



لقد أدركنا منذ البداية
أن تكوين ثقافة المجتمع
تبدأ بتأصيل عادة
القراءة، وحب المعرفة، وأن
المعرفة وسيلتها الأساسية
هى الكتاب، وأن الحق في
القراءة يماثل تماماً الحق
فى التعليم والحق فى
الصحة.. بل الحق فى
الحياة نفسها.

سوزان مبارك

الثمن ١٥٠ قرشاً